الرسالة

(أفسس ٢: ١٤–٢٢)

يا إخوةُ إنَّ المسيحَ هو سلامُنا هو جعلَ الإثنينِ واحداً ونَقَضَ في جسدهِ حائطَ السِّياجِ الحاجزَ أي العداوة* وأَبطلَ ناموسَ الوصايا في فرائِضِهِ ليخلُقَ الإثنينِ في نفسِه إنساناً واحداً جديداً بإجرائه السلام* ويُصالحَ كلَيهما في جسدٍ واحِدٍ معَ اللهِ في الصليبِ بقَتلهِ العداوةَ في نفسِه* فجاءَ وبَشَّركم بالسلامِ البعيدينَ منكم والقريبين* لأَنَّ به لنا كلينا التوصُّلَ إلى الآبِ في روحٍ واحد* فلستُم غرباءَ بعدُ ونُزَلاءَ بل مواطنو القديسيَن وأهلُ بيتِ الله* وقد بُنيتم على أساسِ

«لأنه هو سلامنا»

في مطلع نصّ الرسالة المتلو علينا هذا اليوم، يتحدّث الرسول القديس بولس عن «إثنين» جعلهما المسيح (لأنّه هو سلامنا) واحداً. في المعنى المباشر، أي الموَجَّه مباشرة إلى البيئة الاجتماعية الدينية التي كان يخاطبها الرسول، «الإثنان» هما العبرانيون الذين كان الله قد قطع معهم عهداً في القديم وأعانهم بشرائعه ونواميسه وإعلانات أنبيائه، والأمم أي الغرباء عن الدين وعن نسل المؤمنين والذين لم يقطع الله معهم أي عهد. أبناء عهد الله تنكّروا للأمانة إذ اكتفوا بسطحيات الناموس مُهملين جوهَرَه (متى ٢٣: ٢٣) حتى باتوا يعتَدّون بعهد الله للمُكابَرة حيناً وللعداوة أحياناً، فيما الغرباء «مَجَّدوا الله من أجل الرحمة» (رومية ١٥: ٩). أما عبارة «جعل الإثنين واحداً»، فهي لا تعني تذويب واحد في الآخر بل جعل الإثنين معاً واحداً جديداً بالكلّية. هذا هو فعل المسيح الذي هو «سلامنا»، أي الذي من دونه لا قدرة لنا على التصالح لا مع ذواتنا ولا مع بعضنا البعض ولا مع الله.

يقول أبونا القديس مكسيموس المُعترف أنه بسبب السقوط تشلَّع كيان الإنسان فصار منقسماً على ذاته، أي صارت إرادته المبنية على عقله الواعي في مكان، ورغباته أو شهوات لا وَعيه في مكان آخر. عربة يجرّها حصانان إنما كلّ منهما في اتجاه. إذا تأملنا قليلًا في ذواتنا نجد كم أن هذا الكلام واقعي، كم أننا غالباً (لكيلا نقول على الدوام) نعيش هذا التباعد بين وعينا أهمية الوصايا الإلهية وأفعالنا التي تناقضها. حتى في العلاقة مع الآخرين، ألسنا غالباً ما نستصعب (ولو بنسب متفاوتة) تقبُّل الآخر المختلف عنا؟ غاية المسيح إذاً، من تجسّده وكل عمل فدائه، أن يهدم جدار العداوة المقام في عمق كيان الإنسان منذ السقوط، فيتجدَّد كياننا بالمسيح الذي هو سلامنا. المسيح لا يُرَمّم بل يصنع كل شيء جديداً (رؤيا ٢١: ٥). أما إبطاله لناموس الوصايا، على ما يقول القديس بولس، فلأننا جعلنا من الناموس المُعطَى لنا من الله أصلاً سياجاً يحمينا (إشعياء ٥: ٢)، جعلنا منه حائطاً يعزلنا لا عن

العدد ٤٧/ ٢٠١٧

الأحد ١٩ تشرين الثاني

تذكار النبي عوبديا

والشهيد برلام

اللحن السابع

إنجيل السَحَر الثاني

الآخرين وحسب بل حتى عن نور نعمة الله. يقول الرب بنبيّه إشعياء: «آثامكم فرَّقت بينكم وبين إلهكم، وخطاياكم حجبت وجهه عنكم فلا يسمع» (٥٩: ٢). إذاك أيضاً، وبسبب سوء استعمالنا أو حتى فهمنا لشرائع الله، سببت لنا هذه الشرائع غضباً كما يقول الرسول بولس (رومية ٤: ١٥). مثلاً، كم من مرة نجد أنفسنا نرتاح لـ «إتمامنا واجباتنا الدينية» ونمنّن النفس بما نحن عليه، بينما في القلب لا رحمة ولا محبة ولا صدق ولا أمانة. في هذه الحال بديهي أن ينقلب علينا كل هذا غضباً فينطبق علينا قول المزمور: «يرجع تعبه على رأسه وعلى هامته يهبط ظلمه» (٧: ١٦). أما من صار في قلبه شوق فعليّ إلى التزام الشرع الإلهي، في أفعاله وفي رغباته الدفينة أيضاً، يحلّ فيه المسيح ويملأه من سلامه ويقوّيه في الجهاد حتى يعيده واحداً، ويجدّده بكلّيته.

قلنا إذاً، عن لسان الرسول بولس، إن المسيح أبطل ناموس الوصايا بجسده. هذا يعني أن ابن الله الوحيد افتدى عصياننا للشرع الإلهي وتشويهنا إياه وسوء استعمالنا له، بحفاظه على الناموس من أصغر وصية فيه إلى أعظمها، بطاعته لله حتى المنتهى أي حتى الموت ميتة المجرمين. حرَّرنا إذاً من مضاعفات عصياننا، وبدلاً من أن يعاقبنا أبعَدَ مُربّينا (الناموس). طبعاً في هذا غفران ومحبة لا يوصفان. أيضاً بفعل محبّته، حتى لا نبقى بلا «مربٍّ»، استبدل الناموس بالـ «فرائض» أي قواعد الإيمان التي تسلَّمتها الكنيسة من أيدي الرسل الأطهار وصاغتها، بنعمة الروح القُدُس، عقائد. عن هذا يقول القديس يوحنا الذهبي الفم أن المسيح لم يكتفِ بتحريرنا من عاقبة عصياننا بل رَفَعَنا إلى مراتب أسمى هي مراتب الإيمان، المُتَرجَم عملياً بالعقائد، لكن المسؤولية إزاء هذا الناموس الجديد أثقَل.

بدون فعل المسيح لا يستطيع الإنسان أن يتصالح مع ذاته. الانفصام في داخل كيانه عميق بسبب الخطيئة. حاله هذه تُبعده عن الآخر إن لم نقل تجعله ميالاً إلى معاداة الآخر، وبطبيعة الحال تحجب عنه نور نعمة الله. أما المسيح فأتمّ المصالحة مع الله «في جسد واحد»، الذي هو جسده، إذ قتل بآلامه وموته الخطيئة المسبّبة قيام جدران العداوة. لم يقل القديس بولس «فكّ العداوة» بل قتلها والقتل نهائي. لكن، لأن «اهتمام الجسد عداوة لله» (رومية ٨: ٧)، باستسلامنا إرادياً (أو بسبب الكسل الروحي) للخطيئة، نكون قد اخترعنا عداوة جديدة ورفعنا جدرانها. المسيح أتى بنفسه ليرفع عنا شرورنا ويبشّرنا بثمار فدائه. احتمل كل شيء ولم يمنّن أحداً. أمّن للأقربين وللأبعَدين السبيل نفسه إلى الآب. مَنَحنا المواطنية مع «القديسين وأهل بيت الله»، أي نلنا بنعمة الله كلّ ما تشتهيه كلُّ نفس تسعى إلى القداسة. أعطانا سلامه الذي يقود دوماً إلى الله، وثبَّتنا على أساس الرسل والأنبياء، حتى نكون مثل بناءٍ لا يتزعزع لأنّ المسيح نفسه هو حجر زاويته. كل هذا الإرث ألا يستأهل منا حفظاً وأمانة إلى المنتهى؟

علاج السرطان الروحيّ

خيط رفيع يربط الكتاب المقدّس الرسلِ والأنبياءِ وحجرُ الزاويةِ هو يسوعُ المسيح نفسُهُ* الذي به يُنتسَقُ البُنيانُ كلُّهُ فينمو هيكلًا مقدَّساً في الرب* وفيه أنتم أيضاً تُبنون معاً مَسكِناً لله في الروح.

الإنجيل

(لوقا ١٢: ١٦-٢١)

قال الربُّ هذا المثَل: إنسانٌ غنيٌّ أَخْصَبَتْ أرضُهُ* ففكَّر في نفسِهِ قائلًا ماذا أصنعُ. فإنَّهُ ليس لي موضِعٌ أَخْزُنُ فيهِ أثماري* ثمَّ قال أصنَعُ هذا: أهدِمُ أهرائي وأبني أكبَر منها وأجمعُ هناك كلَّ غلاَّتي وخَيْراتي* وأقولُ لِنَفسي: يا نفسُ إنَّ لكِ خيراتٍ كثيرةً موضوعةً لسنَين كثيرةٍ فاستريحي وكُلي واشرَبي وافرَحي* فقالَ لهُ اللهُ يا جاهلُ في هذه الليلةِ تُطلَبُ نفسُك

منك. فهذه التي أعددْتَها لِمَن تكون* فهكذا مَن يدَّخِرُ لنفسِهِ ولا يستَغْني بالله* ولمَّا قال هذا نادى مَن له أُذُنانِ للسمْعِ فليسمَعْ.

تأمل

قال الراعي: «اسمع . إن للغني خيرات كثيرة ولكنه فقيْر إزاء الرب لأنه منهمك بأمواله. فالصلاة والإعتراف للرب لا أهمية لها عنده وإن قام بها تكون مختصرة ضعيفة لا قدرة لها. لكن إذا تعلّق الغني بالفقير وسدّ حاجاته وهو مقتنع بأن الخير الذي يعمله للمعوز سيجد مكافأته لدى الله (لأن الفقير غني بالصلاة والإعتراف، ولصلاته قوّة عظيمة عند الله) عندئذ يسدّ الغني بلا تردد جميع حاجات الفقير.

من التكوين إلى الرؤيا. هذا الخيط ما هو إلاّ الدعوة إلى التوبة والعودة إلى الأحضان الأبويّة. لا يمرّ سفرٌ من دون دعوة شعب الله إلى مغادرة عبادة الآلهة الأُخرى والرجوع إلى الإله الحقيقيّ، وفي بعض الأحيان لا تكون الآلهة الأُخرى سوى «الأنا» التي تنسى أنّ الله هو الذي يعطيها كلّ شيء، فتعتدّ بذاتها ناسبةً إليها كلّ نجاحٍ وخلاص، فتصل إلى عبادة نفسها.

تعيّد كنيستنا المقدّسة في التاسع عشر من شهر تشرين الثاني للنبيّ عوبديا. لهذا النبيّ سِفْرٌ في الكتاب المقدّس لا يحتوي سوى على إصحاح واحد يصبّ في الخيط الذي ذكرناه في البداية. يقول النبيّ عوبديا: «لقدْ أغواكَ تَجَبُّرُ قلبكَ أيّها السّاكنُ في نخاريبِ الصَّخرِ في أوجِ مَثواهُ القائلُ في قلبه مَنْ يُهبطُني إلى الأرض. إنَّك ولو ارْتفعْتَ كالنَّسْر وجعلتَ عُشَّكَ بين الكواكبِ مِنْ هناك أُهبِطكَ يقول الربُّ» (١: ٣-٤). يتكلّم الربّ على لسان النبيّ مع متكبِّرٍ ظنّ أنّه وصل إلى مرتبةٍ عليا ولن يستطيع أحدٌ إرجاعه إلى الأرض إلاّ أنّ الربّ يذكّره بأنّه موجود وهو سيحدره حتّى ولو كان بين النّجوم. هذا الكلام يذكّرنا بسقوط الشيطان الذي كان أبهى الملائكة إلاّ أنّ تكبّره جعله يسقط «من السماء كالبرق» (لو ١٠: ١٨). إنّ مَن ينظر إلى نفسه فقط يُصاب بالعمى فلا يعود يرى أحدًا: لا الفقير ولا البائس ولا اليتيم ولا الأرملة... ولا حتّى الله نفسه. لذلك يتدخّل الله ليستعيد جبلة يديه، كما فعل عندما أخرج شعبه من العبوديّة في مصر، فيزيل الغشاوة عن العينين حتّى تريا مجده من جديد، فيبصر الأعمى ويعلم أنّ تكبّره لن يوصله إلاّ إلى الموت الحتميّ، فيما إذا تواضع وسار مع الله بتوبة وخفر يصل إلى الحياة الأبديّة والفرح السرمديّ.

هذا ما نحن عليه حاليًّا. إنّنا عميان نسعى وراء عميان «وإن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في حفرة» (مت ١٥: ١٤). نركض وراء المال والشهرة، نسعى وراء إعجاب من يتابعوننا على وسائل التواصل الإجتماعيّ فنقوم بما يريدون رؤيته وقراءته وسماعه لكي نشعر بالرضى لرضاهم... لم يعد يهمّنا إرضاء خالقنا الذي يجلس وينتظر عودتنا، بينما نحن غارقون في «كورةٍ بعيدة» كالابن الشاطر، نظنّ أنّنا نعيش اللذّة والفرح، إلاّ أنّنا في الحقيقة نتمرّغ كالخنازير في الوحل.

أصبحنا نعيش الخطيئة على أنّها الأمر العاديّ وننزعج من صوت الربّ الدّاعي إيّانا إلى التوبة والعودة إليه لكي نحصل على الحياة الأبديّة. لذلك أصبح سرّ التوبة والإعتراف غير مُمارَس في الآونة الأخيرة إلّا من قلّةٍ قليلة، حتّى وصل الأمر إلى تسميته بـ«الدواء المنسيّ». نحن نخاف من الأمراض فنهرع إلى الأطبّاء عند ظهور أدنى العوارض الجسديّة، لكنّنا لا ننتبه إلى السرطان الذي ينهش أرواحنا التي أشرفت على الموت، وما هذا السرطان سوى الخطيئة. أطبّاء الجسد يتقاضون الأموال الطائلة لإعادة جزء بسيط من الصحّة لصاحبها، هذا إذا نجحوا بذلك، لكنّ المستشفى الروحيّ، الكنيسة، يعمل مّجانًا، ويضمن الشفاء التامّ لِمَن يقصده طالبًا العلاج، لأنّ المعالج ليس طبيبًا عاديًّا، إنّما هو طبيب النّفوس والأجساد الذي أعطى سلطان مغفرة الخطايا لتلاميذه وصولاً إلى رؤساء

الكهنة والكهنة. وكما أنّ كلّ علاج كيميائيّ للقضاء على السرطان تسبقه فترة تهيئة، فإنّ التهيئة للعودة إلى الربّ من خلال علاج التوبة تسبقه تهيئة قوامها الإرادة الحرّة والصوم والصلاة وقراءة الكتاب المقدّس والتواضع والدموع ومعرفة الذات وصولاً إلى قرار الرّجوع إلى الدّرب القويم ونبذ الإنسان القديم.

إذًا، ليست الكنيسة، كما يصوّرها لنا المجتمع المعاصر، مؤسّسة تسعى إلى إفقارنا وسلب أموالنا وتعبئة رؤوسنا بالخرافات والسيطرة على شخصيّاتنا. الكنيسة هي الملجأ الأمين، والحصن المنيع، الذي عندما تشتدّ العواصف والأنواء يجعلك تجد نفسك في مأمنٍ ودفءٍ إذا التجأتَ إليها لأنّ سيّدها هو ذو السلطان المطلق، وهو الذي هدّأ العواصف وأقام الموتى وشفى المرضى وطرد الشياطين، وهو أيضًا الذي غفر الخطايا وأوصى بعدم العودة إليها في سبيل الوصول إلى الملكوت.

فلنرجع إلى الله بالتوبة طالبين غفران زلّاتنا، خصوصًا في زمن الصوم الميلاديّ هذا، حتّى نصل إلى التعييد لميلاد ربّنا بنفوس صحيحة لا يشوبها لا مرض ولا فساد، فنرتّل مع الملائكة والرعاة ممجّدين الإله الذي حضر بيننا لينتشلنا من ظلمة الخطيئة المميتة، ويقيمنا بقيامته فنملك معه إلى الأبد.

حملة توعية

ببركة سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس أطلق مستشفى القديس جاورجيوس الجامعي - بيروت الحملة الصحية الوقائية للكشف المبكر لسرطان البروستات التي تستمر طيلة شهر تشرين الثاني. يقدم المستشفى خلال هذه الحملة الخدمات المجانية التالية: فحص طبي، تصوير بالموجات فوق الصوتية (ECHO) إضافة إلى فحص ال PSA في المستشفى وذلك كل يوم أربعاء وجمعة طيلة شهر تشرين الثاني من الساعة ١١ حتى ٢ بعد الظهر في مركز الرعاية الصحية في المستشفى.

دخول السيدة إلى الهيكل

بمناسبة تذكار دخول سيدتنا والدة الإله الفائقة القداسة إلى الهيكل يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الإثنين ٢٠ تشرين الثاني وخدمة القداس الإلهي عند العاشرة من صباح الثلاثاء ٢١ تشرين الثاني في كنيسة دير دخول السيدة في الأشرفية.

عيد القديسة كاترينا

بمناسبة عيد القديسة العظيمة في الشهيدات كاترينا يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الجمعة ٢٤ تشرين الثاني ٢٠١٧ وخدمة القداس الإلهي عند العاشرة من صباح السبت ٢٥ تشرين الثاني في كنيسة القديسة كاترينا في دير زهرة الاحسان.

يصلّي الفقير الذي يساعده الغني لأجل هذا الأخير ويشكر الله لأجل المحسن إليه. يضاعف المحسن غيرته على الفقير كيلا ينقصه شيء في حياته لأنه يعلم أن صلاة الفقير مستجابة لدى الله. هكذا يؤدي الإثنان مهمتهما: الفقير بواسطة الصلاة، وهي ثروته التي تسلمها من الرب، ويردّها للرب لأجل الذي ساعده. الغني كذلك، يعطي الثروة التي تسلمها من الرب بلا تردّد للفقير وهذا عمل عظيم يرضي الله، لأن الغني أدرك معنى ثروته فهو يُشرك الفقير بعطايا الرب، فأدّى بذلك مهمته على الوجه الأكمل.

كتاب الراعي لهرماس